٢٠ – نفس المصدر ص ٢٧ .

٢١ – جيمس بيللى فريزر : – المصدر السابق ص ١٠٠ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٥١ ، ٢٠٠ . كذلك انظر عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين جـ٧ ص ٤٩ – ٥٠ . ولونكريك ص ٣٠ ص ٣١٨ . و د . علي الوردي : – المصدر السابق ص ٨٣ – ٨٥ .

٢٢ – عباس العزاوي : – المصدر السابق ص ٦٩ كذلك انظر سليمان الصايغ : المصدر السابق ص ٣١٠ – ٣١١ . والدملوجي ص ٥١ – ٥٢ .

٢٣ – ن . أ . خالفين : – المصدر السابق ص ٢٧ – ٢٩ .

٢٤ – المصدر نفسه ص ٤١ – ٤٨ .

٢٥ – المصدر نفسه ص ٤١ – ٤٨ .

٢٦ – الشيخ عبدالرزاق البيطار : – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر دمشق ١٩٦٣ جـ٣ ص ١٢٤٢ .

كذلك انظر احمد عبدالرحيم مصطفى : – في اصول التاريخ العثماني القاهرة ١٩٨٢ ص ١٩٧ – ١٩٨ .

٢٧ – بيير رنوفان : – تاريخ العلاقات الدولية «القرن التاسع عشر» ترجمة د . جلال يحيى ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٢٨ – ١٤١ .

كذلك انظر جورج لنشوفسكي : – الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ص ٥٠ – ٥١ .

٢٨ – جيمس بيللى فريزر : – المصدر السابق ص ٢٣ .

٢٩ – جليلي جليل : – المصدر السابق «كاروان عدد ٢٧» كذلك انظر علي سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ٢١٧ ، و ن . أ . خالفين المصدر السابق ص ٥٢ .

٣٠ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٠ – ١٠٧ كذلك انظر علي سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ٢١٧ .

٣١ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٥ .

٣٢ – ن . أ . خالفين : – المصدر السابق ص ٥٢ – ٥٣ .

٣٣ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٥ – ١٠٦ .

٣٤ – محمود الدره : – القضية الكردية ، ط٢ بيروت ١٩٦٦ ص ٨٧ كذلك انظر جليلي جليل : – المصدر السابق ص ١١٠ – ١١١ ، وخالفين ص ٥٣ .

٣٥ – ستيفن همسلي لونكريك : – المصدر السابق ص ٣٣٧ .

٣٦ – جليلي جليل : المصدر السابق ص ١١٠ – ١١١ .

٢٧ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٦ – ١٠٧ كذلك انظر محمود الدرة : – المصدر السابق ص ٨٧ .

٣٨ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠١ كذلك انظر د . كاوس قفتان : – المصدر السابق ص ٤٣ – ٥٧ ويعتقد كاوس ان اقحام الامير المسألة الطائفية كان سببا في سقوطه ايضا . وان الامير تضرر من انهيار جيش محمد علي باشا وانسحابه من سوريا لانه كان على علاقة وثيقة مع ابراهيم باشا ، ونسبه الدكتور ان الجيش المصري انسحب بعد عام ١٨٤٠ وبموجب معاهدة لندن . وسقطت راوندوز عام ١٨٣٦ .

٣٩ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٦ ١٠٧ .

٤٠ – المصدر نفسه ص ١٠٧ كذلك انظر محمود الدرة : – المصدر السابق ص ٦٩ ، ٨٧ .

٤١ – محمد أمين زكي : – خلاصة تاريخ الكرد وكردستان . بغداد ١٩٦٠ ص ٢٤٨ .

كذلك انظر الميجر سون : – المصدر السابق جـ١ ص ٧٧ .

٤٢ – ن . أ . خالفين : – المصدر السابق ص ٥٥ – ٥٦ .

٤٣ – للمزيد من المعلومات عن ادريس البدليسي واتفاقه مع السلطان سليم راجع بحثنا : ادريس البدليسي دوره واثره في التاريخ الكردي . مجلة كاروان العدد ٢٤ .

مدينة السليمانية

دراسة في جغرافيه

مقدمة

ان مدينة السليمانية من المدن الحديثة قياساً بالمدن الاقدم منها ، كمدينة اربيل على سبيل المثال . فالسليمانية لا يتجاوز عمرها المائتي سنة الا قليلاً ، في حين يبلغ عمر المدينة الثانية اكثر من خمسة الاف عام . وعلى الرغم من ان خرائط العصر الاشوري تشير الى وجود قرية أو مدينة قديمة في موقع مدينة السليمانية الحديث باسم آسارى (ASARI)[١] ، الا ان السليمانية كمركز حضري يقترن تأسيسها بالامارة البابانية الكردية المعروفة[٢] .

تمتاز المدينة عن القرية بارتفاع نسبة عدد سكانها الذين يمارسون فعاليات ووظائف غير زراعية . وهذه احدى الاساليب التي يستخدمها الجغرافيون لتمييز المدينة عن القرية التي يشتغل سكانها بالفعاليات الزراعية . مع ذلك فانه يكاد ان لا يكون هناك تعريف جامع وشامل للمدينة . بل ان هناك مجموعة تعاريف يعتمد بعضها على الاساس الاحصائي في التعريف[٣] . وآخر يتبنى الاساس الاداري ، او العامل التاريخي ، ورابع

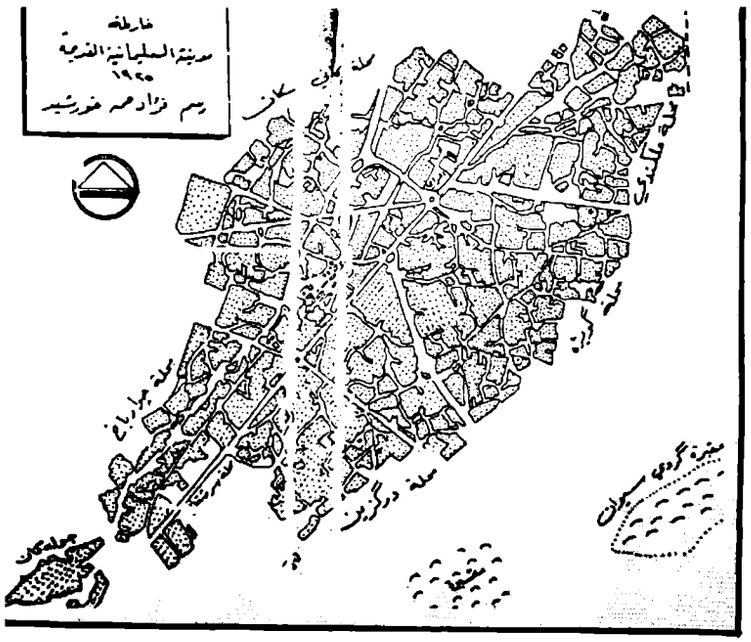

فؤاد حمه خورشيد

ـتها التاريخية

يستند على المظهر اللاندسكيبي ، وآخر يعتمد على الاساس الوظيفي عند تعريفه للمدينة ، او ما يسمى بـ «المركز الحضري» .

ولعل ابرز هذه الاسس هو «الاساس الوظيفي» في تعريف المدينة عند نشأتها «لأن الوظيفة هي مبرر وجود المدينة ومحدد نمط الحياة فيها ، فهي الاساس في قيام وتشكيل المدينة»[٤] ، فقد تكون للمدينة وظيفة حربية ، او تجارية ومالية ، او سياسية وادارية[٥] ، او وظيفة انتاجية[٦] او صحية وترفيهية[٧] ، او حضارية[٨] ، او مواصلات ، او سكن ومهاجع . فهذه هي اهم عوامل واسس تصنيف وتعريف المدن في العالم .

الامارة البابانية

قبل بناء مدينة السليمانية ، كانت قرية قلعة چولان (قلاچولان)[٩] أول عاصمة لامارة بابان الكردية ، ويعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الامارة هو بابا سليمان (١٦٦٣ – ١٦٧٥ م) الذي تولى الامارة بعد وفاة ابيه فقي احمد . فما ان حل النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى كان هو صاحب السمعة البارزة الوحيد في منطقة شهرزور[١٠] . فسلك مسلك ابيه في نشر لواء الحضارة والعمران حتى اعتبر بحق من المؤسسين البارزين للامارة[١١] في المنطقة . كما انه كان يتمتع بقسط وافر من الذكاء والبسالة والحزم[١٢] . فنال احترام واعتراف العثمانيين به وبسلطته . واستمر احفاد بابا سليمان بادارة وقيادة الامارة ، فتراوحت سلطتهم بين مد وجزر وسط يم متلاطم من المؤامرات الداخلية[١٣] ، والصراعات الخارجية[١٤] والاطماع الاجنبية حتى يوم زوال الامارة عام ١٨٥١ م .

كان لموقع «قلاچولان» ، عاصمة الامارة البابانية الاولى ، الحدودى غير المناسب ، وضراوة الصراع الفارسي العثماني زمن نادر شاه والسلطان محمود الاول ، وخراجه موقف الباشا البابانى ، والصراع والاطماع الداخلية بين البابانيين انفسهم[١٥] ، والصراع بين البابانيين والامارات الكردية المجاورة[١٦] . كان لكل ذلك اثر في اتخاذ القرار الخاص بنقل العاصمة الى موقع جديد ، اي ايجاد مقر اداري وسياسي جديد

وآمن للامارة .

لقد وقع الاختيار على موضع يقع على الجانب الجنوبي الغربي لسلسلة جبال كَويژه – أزمر عند قرية ملكندى[١٧] الواقعة عند قدمات السلسلة المذكورة حيث تمتد السهول المتموجة باتجاه الجنوب الغربي نحو سهل شهرزور الخصيب ، وباتجاه شمال غربي نحو مناطق سورداش ، وهي من المناطق المشهورة بانتاج الحبوب . كما يمتاز هذا الموقع بوفرة مياهه . كما ان له ميزة استراتيجية في كونه يقع على عكس موقع قلاچوا لان ، اي في الجهة الغربية لسلسلة الجبال المذكورة وليس في شرقيها ، مما يقلل نسبياً من خطر الهجمات الفارسية المباغتة على العاصمة . انظر خريطة الموقع .

مدينة السليمانية

ان أول من فكر في نقل المركز الاداري والسياسي للامارة البابانية من قلاچوالان الى الموضع الجديد هو محمد باشا بابان عم ابراهيم باشا الذي سيأتي ذكره . فقد بنى محمود باشا عام ١٧٨١ م السراى الحكومي عند اطراف قرية ملكندي[١٨] . وبذلك فأنا شخصياً اعتبر محمود باشا بابان هو المؤسس الحقيقي لنواه المدينة الجديدة لا ابن اخيه ابراهيم باشا .

اما ابراهيم باشا الذي تولى الامارة عام ١٧٨٣ م بعد حصوله على لقب امير الامراء ، فهو الذي أتم بناء المدينة عام ١٧٨٤ م ، ونقل عاصمة الامارة ومركزها الاداري والسياسي والعسكري بشكل رسمي من قلاچوالان الى المدينة الجديدة ، بعد ان بنى بالقرب من السراى المذكور عدداً من المساكن وجامعاً وسوقاً وحماماً وخاناً[١٩] . وهذه بعض من مستلزمات المدينة الشرقية .

اما لماذا نقل الباشا البابانى مقر عاصمته من قلاچوالان الى السليمانية ، فقد اشار كلوديوس جيمس ريج الى ان ذلك يعزى الى سببين هما :

١ – للمفاخرة بنفسه .

٢ – لملائمة الموقع الجديد للصيد الذي كان مولعاً به[٢٠] .

قد يكون لهذين السببين اثر في بناء المدينة الجديدة ، الا انه اثر محدود وثانوي قدر تعلقها بالطموح الشخصي للامير . الا ان الاسباب الجوهرية التي حتمت على الباشا – من وجهة نظرنا – ان يجعل السليمانية عاصمة له بدلاً من قلاچوالان هي الآتية : –

ا – سبب اداري وسياسي .

ب – أساس استراتيجي

جـ – عامل اقتصادي .

د – دافع ذاتي .

اولاً : السبب الاداري والسياسي : فالادارة هي من الضرورات الاولية لنشأة المدنية . وكان على الباشا ان يمارس من خلال نقطة مركزية ، وبأمان سلطاته الثلاث الاولية . وقد تشكلت المدينة الجديدة بشكل وحدة مكانية ادارية وقامت من اجلها وتناسبت معها وتطورت بتطورها .

ثانياً : الاساس الاستراتيجي : أراد الباشا ان يختار موقعاً مناسباً من الناحية الامنية ، يتمتع بقابلية الحركة بالنسبة لطرق المواصلات التي ترتبط به . فموقع السليمانية أنسب استراتيجياً من قلاچوالان بالنسبة للهجمات الفارسية وضغوطها في الاقل ، والتي كثيراً ما كانت تتعرض لها المنطقة .

ثالثاً : العامل الاقتصادي : يمكن ان تضع الموقع الجديد ضمن امتدادات سهل شهرزور الزراعي . فالمنطقة أشبه بمستودع كبير للحبوب (الحنطة والشعير والعدس والحمص والماش . . الخ) ، وذات موارد مائية جيدة ، كما انها مقر لالتقاء الرحل بالمستقرين ، ومركزا لتبادلهم التجاري .

رابعاً : الدافع الذاتي : ان المفاخرة بالنفس ، التي اشار اليها المستر ريج ، تأتي بالمرتبة الاخيرة بالنسبة لاسباب بناء المدينة . فقد كان الطموح الشخصي والرئيسي لابراهيم باشا بابان ، على ما يبدو ، يتركز بالدرجة الاساس في تخليد اسم اسرته الكردية ومؤسسها الحقيقي . فوجد ان ابرز عمل يقوم به في هذا الاتجاه هو بناء حاضره جديدة .

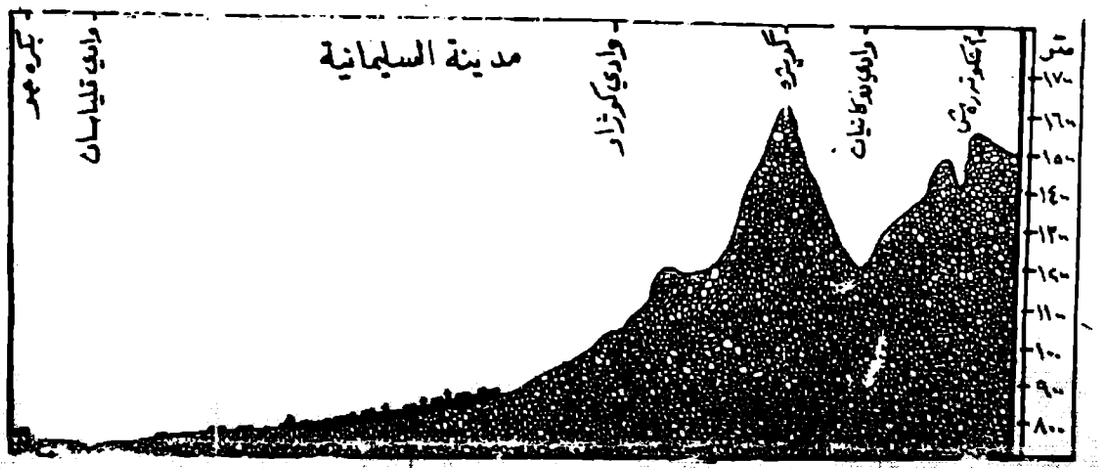

موقع
مدينة السليمانية

تسمية المدينة

تذكر بعض المصادر ، بما فيها مصادر كردية ، ان المدينة الجديدة دعيت بـ «السليمانية» او «سليماني» نسبة الى اسم باشا بغداد الوالي العثماني «سليمان باشا الكبير» الذي كان معاصراً لابراهيم باشا بابان .

فقد ذكر ريج ان ابراهيم باشا بابان سمى مدينته الجديدة (السليمانية) مجاملة لباشا بغداد سليمان باشا[٢١] . واشار لونكَريك الى ان البلدة سميت السليمانية تمجيداً وتخليداً لاسم الباشا الكبير في بغداد[٢٢] . وذكر محمد امين زكي انه سماها تيمناً باسم سليمان باشا والى بغداد[٢٣] .

اما ادموندز فقد كرر ما ذكره السابقون من انها سميت كذلك تيمناً باسم باشا بغداد المعاصر[٢٤] ، ومن هذا يتضح ان كلاً من لونكَريك ومحمد امين زكي وادموندز قد استندوا على رأي المستر ريج وقبلوه على علاته مباشرة دون تحليل .

ويشير الاستاذ عبد الرزاق الحسني الى ان ابراهيم باشا بابان كتب عن اكتمال بناء المدينة «الى صديقة سليمان باشا الكبير . والى بغداد يومئذ ، يخبره بذلك ، وانه سمى هذه المدينة الجديدة بـ (السليمانية) تيمناً باسمه – على رواية دائرة المعارف الاسلامية – (وهي مستندة اساساً على رواية ريج –) ، وعلى اسم جده سليمان باشا على رواية بعض المؤرخين» . ويشير الاستاذ عبد الرزاق الحسني في هامش الصفحة ٢٢٨ ايضاً الى ان الاهليز يتناقلون اسطورة اخرى في سبب تسمية (السليمانية) بهذا الاسم خلاصتها ان ابراهيم باشا بينما كان يحفر لأسس المباني التي أقامها عثر على خاتم نقش عليه اسم كلمة (سليمان) فتفاءل خيراً وسمى مدينته باسم صاحب الختم[٢٥] .

وهناك رأى آخر يشير الى انه سماها باسم ابنه سليمان بك[٢٦] . ويقول اخرون ان محمود باشا بابان الذي كان اميراً بين سنتي ١٧٧٨ و ١٧٨٣ م بصورة متقطعة ، في وقت كان الشاه محمد على شاه يحكم بلاد فارس (١٧٩٧ – ١٨٣٤ م) رزق الشاه بمولود اسماه سليمان ، فسمى محمود باشا بابان القلعة التي بناها باسم ابن الشاه المذكور[٢٧] ، وهذا رأي يستند الى الولاء الذي كانت تمنحه الامارة البابانية في فترات معينة للحكم الفارسي ليس غير .

وثمة رأى يشير الى ان محمود باشا بابان قد بنى قصر الحكم عام ١٧٨٢ م في قرية ملكندي بامر من سليمان باشا الجليلي الذي حكم ولاية الموصل بفترات بين (١٧٧١ – ١٧٨٩ م) ، وعندما اكمل محمود باشا البناء سماه باسم سليمان باشا الجليلي[٢٨] . وهذه رواية ضعيفة لم يؤيدها أحد .

ويرجح الاستاذ عبد ربه الوائلي رأى الفريق الاول الذي ينسب اسم السليمانية الى والي بغداد سليمان باشا الكبير ويعزى ذلك الى ان ابراهيم باشا بابان (تولى منصب الامارة بمساعدة الوالي سليمان باشا الكبير حيث كان الامير البابانى يقيم في بغداد تحت رعاية الوالي)[٢٩] .

ولكن . . لو تصفحنا بعض ما كتب عن ابراهيم باشا البابانى ، وعن سياسته ، وحنكته ، التي استطاع بها من توسيع – امبراطوريته – كما يصفها لو نكريك[٣٠] . وتحديه ، وحزمه ، وصرامته امام الضغوط الفارسية والعثمانية على حد سواء ، فاننا لا نتصور ان تصل الضحالة والتخاذل بمثل هذا النوع من الرجال الى ان يتملق الى حد تسمية عاصمة امارته الجديدة باسم باشا عثماني يضمر له العداء في الواقع ، ويمنحه الولاء الشكلي في الظاهر[٣١] .

ان اسم مدينة السليمانية يقترن – من وجهة نظرنا – باسم بابا سليمان (سليمان بيه)[٣٢] بن فقي احمد مؤسس الاسرة البابانية وليس غير . فقد كان ابراهيم باشا[٣٣] من الرجال الذين ارادوا تخليد اسم مؤسس هذه الامارة – بعد قناعته بضرورة نقل العاصمة – ببناء مدينة جديدة تحمل اسمه فسماها (سليماني) تيمناً باسم جد هذه الاسرة الكردية .

فلقد امتاز بابا سليمان في ايام زمانه بنشر لواء النهضة والتقدم حتى أعتبر بحق المؤسس البارز للامارة . وفضلاً عن ذلك كان يتمتع بقسط وافر من الذكاء والبسالة والحزم[٣٤] . فاستحق من حفيده هذا التخليد . وهكذا نشأت مدينة السليمانية ، مخلدة اسم (بابا سليمان) المؤسس الحقيقي والعظيم لمأثرة اسرة بابان الكردية[٣٥] ، كعاصمة للامارة البابانية . وهي الآن كما نراها واحدة من أشهر المدن الكردية .

تطور المدينة

ما ان حل عام ١٧٨٤ م حتى اشرف بناء المدينة الجديدة (السليمانية) على الاكتمال ، فانتقل اليها مركز الحكومة البابانية[٣٦] . ورغم ان المدينة الجديدة كانت تحظى باهتمام حكام آل بابان حتى يوم زوال سلطتهم عام ١٨٥١ م ، الا ان ذلك لم يمنع هذه المدينة وسكانها من ان يقاسوا ويتأثروا بمجمل الظروف القاسية ، والاوضاع السيئة ، والكوارث الطبيعية التي كانت تشهدها المنطقة منذ ذلك التاريخ المبكر لنشأة المدينة ، والتي بصمت عليها اثارها فأثرت على نموها وتطورها .

اضافة الى ذلك فقد كان الناس ، وهم يقتحمون مرحلة الانتقال من حياة البداوة الى مرحلة الاستقرار في المدن والقرى الزراعية ، يقاسون بشكل عام من وطأة الضرائب والاستغلال ، وفي حملات السلب والنهب والقتل نتيجة العداوات العشائرية ، . ومن التجنيد الاجباري العثماني ، ومن ابتزاز قوات الجندرمة المحلية . ومن سوء الاحوال الاقتصادية والصحية ، ومن ندرة المواصلات ، ومن انتشار الأوبئة والامراض .

فقد أثر كل ذلك ، بلا شك ، على نمو وتوسع المدينة الطبيعي ، كما حد من هجرة سكان الريف اليها باعتبارها مركزاً حضرياً جديداً . كما ان انتشار الاوبئة والامراض الفتاكة المعدية كانتشار الطاعون عام ١٧٥٧ م (الطاعون الكبير) وفي عام ١٧٧٣ م (الطاعون الصغير) فتك بالالاف من سكان كردستان. كما اثرت الهزة الارضية التي عصفت بالمنطقة عام ١٨٠٣ سلبياً على المدينة[٣٧] . ورغم هذه العقبات فقد شهدت المدينة الجديدة في السنوات الاولى من عمرها نمواً ملحوظاً ، وان كان بطيئاً نسبياً ، سواء من الناحية العمرانية ، او من حيث نمو المرافق الخدمية والوظيفية فيها .

ففي عام ١٨٢٠ م (بعد ٣٦ عاماً من تأسيسها) كانت المدينة تضم[٣٨] (٢١٤٤) داراً ، اضافة الى بعض المرافق الخدمية موزعة بالشكل الآتي : –

المرفق	العدد
دار للمسلمين	٢٠٠٠
دار لليهود	١٣٠
دار للمسيحيين الكلدان	٩
دار للارمن	٥
الحمامات	٥ واحد منها جيد
المساجد	٥ واحد منها كبير وجيد البناء
الخانات (كاروان سراى)	٦

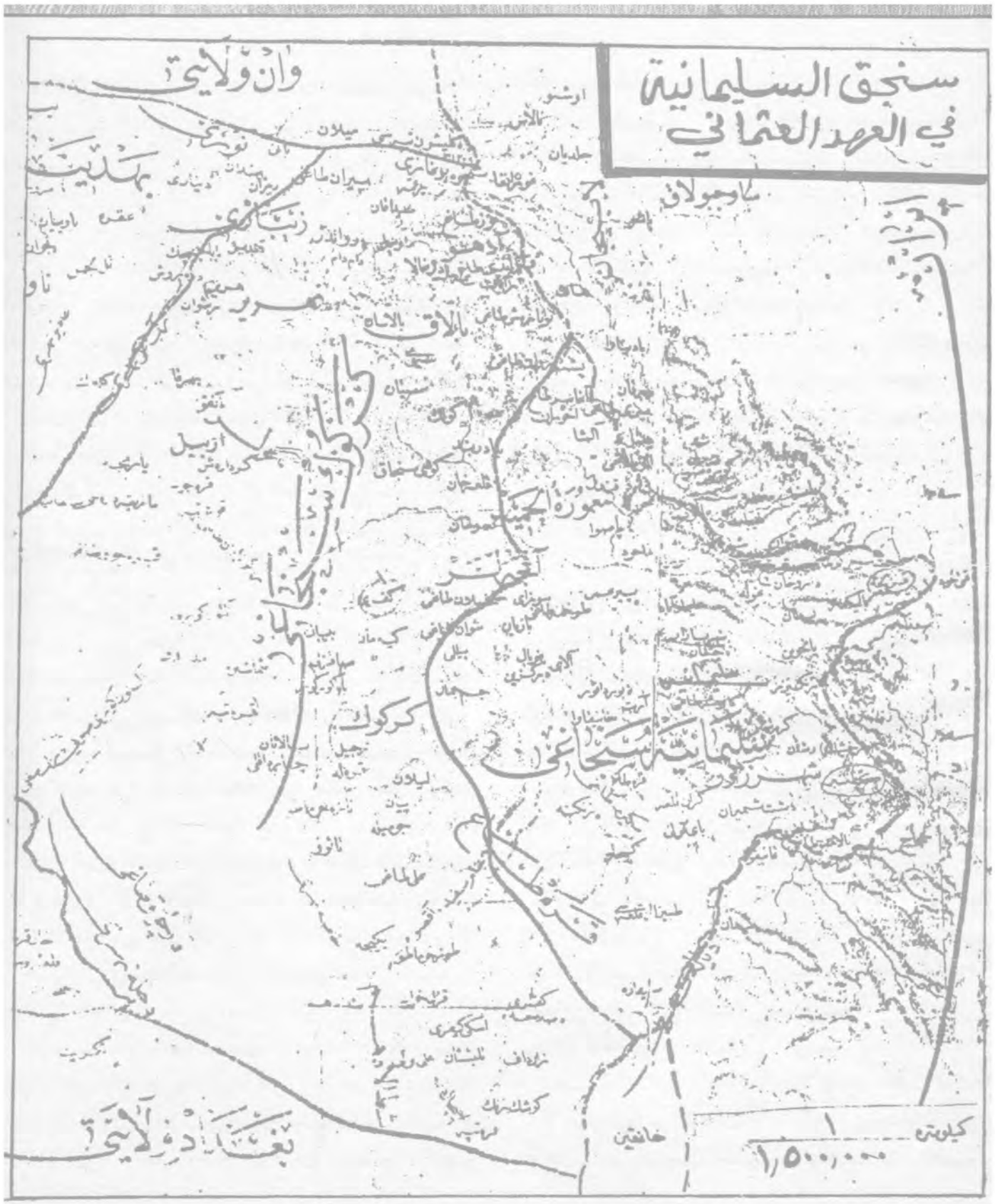
سنجق السليمانية
في العهد العثماني
وان ولايتي
بهدينان
زيبار
ازبيل
كركوك
السليمانية سنجاغي
شهرزور
بغداد ولايتي
خانقين
كيلومتر
١
١,٥٠٠,٠٠٠

وهذا يعني ان المدينة تطورت الى هذا الحجم في مدة لا تتجاوز الخمسة والثلاثين عاماً من تاريخ انشائها رغم المعوقات الكثيرة التي اشرنا اليها ، كما ان عدد سكانها ارتفع في نفس العام الى عشرة الاف نسمة .

عوامل تطور المدينة

الوظيفة الدينية : ولعل من أهم العوامل الايجابية التي ساهمت في نمو المدينة في ذلك الوقت ، هو العامل الديني . فقد اصبحت هذه المدينة مقراً ومركزاً دينياً لطريقتين صوفيتين بارزتين في كردستان هما : (الطريقة القادرية) التي اخذ بنشرها الشيخ معروف النودهي [٣٩] . و (الطريقة النقشبندية) التي نشر لواءها مولانا خالد [٤٠] . لقد اخذت كل طريقة من هذه الطرق الصوفية تجتذب بين الحين والآخر اعداداً من اتباعها ومريديها الى المساجد وتكيات المدينة ، والى مدارسها الدينية [٤١] .

الوظيفة التجارية : – على الرغم من ان مدينة السليمانية أنشأت بالاساس لتكون مركزاً ادارياً ، الا انها ما لبثت ان تطورت الى سوق محلية ناشطة ارتقت بعد سنوات قليلة الى مركز تجاري اقليمي في كردستان مع احتفاظها بوظيفتها الاساسية كمركز اداري وسياسي لامارة بابان . فهذه الوظيفة الجديدة النامية كانت هي الاخرى عاملاً من عوامل تطور المدينة ونموها .

كانت تجارة المدينة قياساً بامكانات وظروف تلك المرحلة المبكرة لنشوئها تجارة ناشطة . فقد امتدت علاقاتها التجارية لتشمل العديد من المدن العريقة الاكثر منها قدماً ، والاوسع تجارة ، وكانت في طليعة المدن التي تتاجر معها مدينة السليمانية ما يلي : [٤٢] .

١ – بغداد : – كانت تجارة السليمانية مع مدينة بغداد دائمة ، فالسليمانية كانت تستورد التمر والبن والمنتوجات الهندية والاوربية والاقمشة . اما صادراتها الى بغداد فكانت تتألف من التبوغ والبقول والجبن والدهن والسماق والصمغ والشحم والصابون والحرير .

٢ – الموصل : – كانت المتاجرة مع مدينة الموصل مستمرة . وكانت السليمانية تستورد منها الاحذية والخام واغطية الرأس والاقمشة القطنية الملونة ومنتوجات الشام وديار بكر . اما صادراتها الى الموصل فكانت تشتمل على العفص وغيره .

٣ – كركوك : وكانت تجارة السليمانية مع كركوك دائمة ومستمرة . وكانت السليمانية تستورد منها الاحذية وبعض الاقمشة القطنية الخشنة . اما صادراتها فهي البقول والعسل والعفص والسماق والفواكه والرز والدهن والقطن والاغنام والمواشي . وكانت كركوك سوقاً رائجة لجميع منتجات كردستان .

٤ – همدان وسنة : – كانت تصل الى السليمانية من هاتين المدينتين قوافل محملة بالدهن والفواكه المجففة والعسل والفولاذ الوارد من اطراف بحر قزوين .

٥ – تبريز : – كانت تخرج عادة من السليمانية الى تبريز قافلة واحدة كل شهر ، لكن ذلك لم يكن بانتظام ، وتعود القافلة محملة بالحرير والاقمشة الحريرية وغير ذلك . وكان اكثر الحرير يصدر الى بغداد بعد ذلك ، اما الاقمشة فتستهلك في كردستان . وكانت صادرات السليمانية الى تبريز تشتمل على التمر والبن وغيرها من الواردات التي تجلب عادة من بغداد .

٦ – ارضروم : – كانت تخرج سنوياً قافلة واحدة على الاقل من السليمانية الى ارضروم وهي تحمل التمر والقهوة وغير ذلك ، وترجع محملة بالحديد والنحاس والبغال .

وكانت واردات تجارة مدينة السليمانية تقدر بحوالي (٤٧٥٠٠٠) ليرة في السنوات الاعتيادية [٤٣] ، الا انها تتقلص عند اضطراب الاحوال الامنية الى اقل من ذلك ، وقد ساهمت الصناعات المحلية التي نشأت في المدينة وكذلك منتجاتها الزراعية مساهمة فاعلة في زيادة واردات المدينة .

صناعة الاسلحة : – ومما زاد في ازدهار تجارة المدينة في اوائل هذا القرن هو تطور صناعة الاسلحة فيها ، وبخاصة صناعة البنادق . فقد اصبحت السليمانية مركزاً مهماً لهذه الصناعة ،

وكان فيها ١٥٠ بندقياً حاذقاً يصنعون تقليداً متقناً وذو نوعية جيدة للبندقية المشهورة انذاك والمعروفة باسم (مارتيني بيبودي (Martini Peabody) بما في ذلك خراطيشها واطلاقاتها . اما سباطاناتها فكانت تستورد من روسيا القيصرية[٤٤] ، ومن مناطق بحر قزوين وارضروم، فلو كان هناك من يرعى هذه الصناعة المتقنة منذ تلك الايام والى يومنا هذا ، لاصبحت مدينة السليمانية الآن احدى مراكز الصناعات الحربية الهامة في المنطقة .

طرق المواصلات : – كانت المدينة ترتبط بشبكة من طرق القوافل مما سهل في نقل البضائع منها واليها في مختلف المواسم ولعل اهم الطرق هي الآتي :–

١ – السليمانية – بازيان – جمجمال – كركوك – بغداد .
٢ – السليمانية – قرية ابراهيم خانجي – كفري – بغداد .
٣ – السليمانية – بنجوين – سنة .
٤ – السليمانية – حلبجة – كرمنشاه .
٥ – السليمانية – سردشت – مركَه – بانه – سقز .
٦ – السليمانية – حلبجة – ميدان – شيروان – خانقين .
٧ – السليمانية – حلبجة – زهاو – جوانرو – وغيرها من طرق القوافل التي تربط المدينة بالمدن الاخرى . ولا شك ان هذه الطرق لعبت دوراً في ازدهار تجارة المدينة وتوسع سوقها رغم كون وسائل النقل كانت بدائية لا تتعدى النقل بواسطة القوافل المؤلفة من البغال والحمير والثيران في بعض الحالات .

الزمن اللاحق

ان هذا التطور الذي شهدته مدينة السليمانية لم يسر على وتيرة واحدة ، بل انتابت مسيرته بعض العقبات والمشاكل التي ادت الى تردي اوضاعها بشكل عام ، وخاصة بعد طاعون عام ١٨٣١ م ، واقتحام القوات الفارسية للمدينة في عام ١٨٤١ م .

ففي عام ١٨٤٤ م ذكر جيمس فلكسى جونز : – ان المدينة كانت رغم كونها عاصمة للباشلق . تتكون من مجموعة من المساكن الصغيرة المتهدمة ، وعلل ذلك بسبب من تقاليد البداوة التي يمتاز بها سكان المدينة والاقليم المحيط بها ، والى هجرتهم الفصلية التي تؤدي الى انصرافهم عن الاهتمام الزائد بالمساكن[٤٥] . ولكن السبب الحقيقي الذي يكمن وراء هذه الانتكاسة العمرانية هي المشاكل والمصاعب المذكورة انفاً بالدرجة الاساس مما ادى الى ان يهبط عدد مساكن المدينة عام ١٨٤٤ م [٤٦] . الى نصف عددها الذي ذكره ريج في عام ١٨٢٠ م .

ثم ما لبثت ان تحسنت اوضاع المدينة ، بعد ربع قرن من ذلك التاريخ فتوسع العمران فيها . واخذ عدد المساكن بالارتفاع ، حتى قدر ليك لاما ، كما اوردته دائرة المعارف الاسلامية[٤٧] ، ان عدد الاسر القاطنة في مدينة السليمانية عام ١٨٦٨ م بلغ ٦٠٤٥ اسرة[٤٨] ، موزعة بالشكل الآتي : –

٦٠٠٠	أسرة مسلمة .
٣٠	اسرة مسيحية كلدانية .
١٥	اسرة يهودية .

لقد جاء جزء من هذا التطور نتيجة لتنامي أهمية المدينة من الناحية الادارية ، حيث اصبحت سنجقاً من سناجق ولاية الموصل ، التي كانت تتبعها اقضية بازيان وحلبجة وشهرزور ومركَه ونواحيها كما ساهم سوق المدينة ، الذي شهد تطوراً مطرداً في جعل هذه المدينة من اهم المراكز التجارية في الاقليم ، مما ادى الى استقطاب عدد كبير من سكان الريف وبعض تجار المدن الأخرى للاقامة فيها . وعلى هذا الاساس يمكن ان نقدر عدد سكان المدينة عام ١٨٦٨ م بحوالي ٣٠٠٠٠ نسمة .

وفي عام ١٨٩٢ م ، ذكر مونسل ان عدد مساكن المدينة كان يربو على ٢٥٠٠ داراً ، جميعها تقريباً ذات طابق واحد ، وذات سقوف مسطحة ، كما كانت تحوى على بعض البنايات الاكبر حجماً . اما اسواقها فكانت ضيقة ومسقفة بجذوع واغصان الاشجار ، اما أشهر صناعاتها فكانت : الصناعات

الجلدية والاحذية والحدادة والسيوف والرماح والخناجر والادوات المنزلية والالات الزراعية ، وصناعة الاسلحة [٤٩] . كما ارتفع عدد سكان المدينة في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الاولى الى ٤٠٠٠٠ نسمة [٥٠] .

الحرب العالمية الاولى

الا ان هذا الازدهار الجديد لم يدم طويلاً ، فما ان تورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى حتى اعلنت النفير العام ، فعمت من جراء ذلك المأساة التي لم ينج منها ، ومن ويلاتها بيت من البيوت لا في المدينة ، ولا في أطرافها . ففي المدينة والريف التابع لها كانت اقوات وممتلكات الناس ، وذخائرهم تتعرض للنهب والسلب بصورة مستمرة باسماء واعذار شتى . تارة باسم الجهاد ، واخرى باسم اعاشة وتموين القوات العثمانية ، واخرى باسم المبايعة والاعانة [٥٠] . وبسبب النفير العام فقد اهملت الزراعة ، وتم الخراب الاقتصادي . فلم يبق من يتولى الزراعة سوى العجزة وصغار السن . اضافة الى ذلك فقد ساهمت الطبيعة ، وهي الاخرى ، في زيادة البلوى فقلت الامطار وعمت المجاعة ، وشح الانتاج الغذائي . كما كانت جباية الضرائب تتم بشكل مجرد من الرحمة ، فأثر كل ذلك على سكان المدينة وعلى تطورها . فبارت تجارتها ، وتدهورت مكانتها بعد ان عمت المجاعة بها ، فمات الكثير من سكانها . وكان من شدة القحط والجوع ان لجأ الجياع في بعض الحالات الى اكل لحوم القطائس . بل كانوا يلتهمون جثث الموتى [٥١] . كما انتشرت الاوئبة والامراض ، فمات من جراء ذلك عدد آخر من سكانها . وكانت جثث الموتى تجمع يومياً في سوق المدينة كل صباح .

ونتيجة لكل ذلك ، فقد عم الخراب والدمار في ارجاء المدينة وانخفض عدد سكانها من ٤٠٫٠٠٠ نسمة قبل الحرب الى ٩٫٠٠٠ نسمة بعدها [٥٢] .

ان هذا الانخفاض الكبير في عدد السكان يشير ، بدون ادنى شك ، الى عظم المأساة . وفداحة الاضرار التي لحقت بالمدينة وسكانها ، وبالخراب والدمار الذي اصابها رغم بعدها عن سوح المعارك ، وميادين القتال .

لقد ظلت مدينة السليمانية تعاني من اثار الحرب لفترة طويلة ، فمع زوال عهد السيطرة العثمانية ، انشغلت المدينة باحداث ثورة الشيخ محمود الحفيد [٥٣] . ضد سلطات الاحتلال البريطاني في اعوام ١٩١٩ و ٢٢ – ١٩٢٣ ولم ينم عدد سكان المدينة حتى عام ١٩٢٥ اكثر من ١٠٠٠٠ نسمة وذلك حسب التسجيل الذي عملته البلدية في ذلك العام [٥٤] . وهذا يعني ان عدد سكانها رجع الى ما كان عليه (قبل قرن من الزمان) ايام رحلة ريج عام ١٨٢٠ م .

ومن الجدير بالذكر هنا ان مدينة السليمانية وتوابعها اصبحت سنجقاً من سناجق ولاية الموصل ، ثم لواءً من الويتها . ففي عام ١٩٠٩ أصبح لواء السليمانية ، حسب التقسيمات الادارية العثمانية انذاك ، يضم الاقضية والنواحي التالية [٥٥] . : – (انظر خريطة سنجق السليمانية) .

الولاية	اللواء	القضاء	الناحية	عدد القرى
–	–	السليمانية	قره‌طاغ	١٣٩
–	–	كلعنبر	البجه ، سروجك ، قزلجه	٤٧٢
الموصل	السليمانية	معمورة الحميد	قلعة دزه ، سورداش ، مرگة	١٣٧
–	–	بازيان	قلعة سيوكه .	٧٫١٥٩ عشائر
–	–	شهربازار	سنك ، مأوت ، سنگاو	

– وقسمت المدينة في عام ١٩٢٥ ، لاغراض بلدية الى سبعة احياء هي :

١ – گۆيژه
٢ – ملكندي
٣ – كاني أسكان
٤ – دەرگەزين
٥ – چواراباغ
٦ – جوله كان
٧ – سەرشقام .

وما زالت هذه الاحياء تعرف بهذه الاسماء ، محتلة مركز المدينة ، رغم نمو المدينة الملفت للنظر في الوقت الحاضر . وظهور احياء . سكنية جديدة وواسعة من حولها . (انظر خريطة مدينة السليمانية القديمة) .

الهوامش :

١ - Roux , Georges , (Ancient Iraq) London , 1966 , P . 460 .

٢ - الامارة البابانية : واحدة من الامارات الكردية التي كانت تتمتع في العهد العثماني بما يشبه السلطة الذاتية . نشأت في حدود ١٦٦٣ م ، وانقرضت في ١٨٥١ م .

٣ - Joties , Emrys , (Town and cities) , London , 1976 , P . 3 .

٤ - حمدان ، جمال ، (جغرافية المدن) ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٨١

٥ - عاصمة دولة ، عاصمة اقليم او ولاية ، مركز محافظة ، مركز قضاء ، او مركز ناحية .

٦ - صناعة وتعدين .

٧ - سياحية ، مصيات ، شواطئ وبلاجات ، رياضة شتوية . . الخ .

٨ - دينية او ثقافية .

٩ - تقع على الضفة الشمالية لوادي قلاجوالان أسفل جوارته .

١٠ - اشار اليه لونكَريك باسم : سليمان بك بن ماوند انظر :
س.هـ، لونكريك، «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بغداد، ط٥، ص ١٠٥

١١ - زكي ، محمد امين ، (تاريخ الدول والامارات الكردية) ، ١٩٤٥ ، ص ٤١٧

١٢ - زكي ، محمد امين ، نفس المصدر السابق . ص ٤١٨

١٣ - على سبيل المثال : انقضت ايام عبد الرحمن باشا بابان (١٧٧٩ - ١٨١٣ م) في قلاقل وفتن وحروب كنتيجة للبغضاء والعداء الشديدين بين افراد الاسرة البابانية ، ولا سيما بينه وبين ابن عمه خالد باشا الامر الذي ادى الى (خراب الدار والديار) ، انظر : زكي ، محمد امين ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠ .

١٤ - الصراع العثماني - الفارسي .

١٥ - انظر : لونكَريك ، المصدر السابق . ص٢٤٨ - ٢٥٠ ؛ ومحمد امين زكي ، المصدر السابق ، ص ٤١٦ - ٤٢٢ .

١٦ - وبخاصة مع امارتي أردلان وسوران .

١٧ - ملكندي الآن اسم يطلق على احدى محلات مدينة السليمانية .

١٨ - زكي ، محمد امين ، (تاريخ السليمانية واماتها) ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص ٩٥

١٩ - ٢٠ - Rich , Claudius James , (Narative of Aresidence) Second Edition London , 1972 , P . 119

٢١ - Rich , OP . Cit . , P . 119 .

٢٢ - لونكَريك ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩

٢٣ - زكي ، محمد أمين ، (تاريخ السليمانية) ، المصدر السابق ، ص ٩٥ - ٩٦

٢٤ - أدموندز ، سي . جي ، (كرد وترك وعرب) ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٥٦

٢٥ - الحسني ، السيد عبد الرزاق ، (العراق قديماً وحديثاً) ، ط ٧ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٢٨

٢٦ - ثريا ، محمد ، سجل عثماني او تذكره مشاهير العثمانيين ، جـ ١ ، استانبول ، ١٣٠٨ هـ ص ١٤٠

٢٧ - سعيد ، امين ، (ايام بغداد) ، مصر ، ١٩٣٤ ، ص ٢١٩ .

٢٨ - العمري ، ياسين ، (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام) ، مخطوطة ، المتحف العراقي ، رقم ٦٢٩٥ ، ص ٢١٢ .

٢٩ - الواثلي ، عبد ربه سكران ابراهيم ، (تاريخ الامارة البابانية الكردية) رسالة ماجستير - جامعة القاهرة - ١٩٧٩ ، ص ١٣٠ .

٣٠ - لونكَريك ، نفس المصدر السابق . ص ١٠٦ ، ١٩٣ ، ٢٤٩ . . يقول : امتد نفوذ البابانيين من سيروان حتى الزاب الاسفل في جميع الهضاب الكائنة شرق كفري والتون كوبري ، ومن كركوك الى همدان . وكانت رقعة امبراطوريتهم تختلف باختلاف قوتهم . بل انها امتدت زمن ابراهيم باشا لتضم زهاو وقصر شيرين وخانقين .

٣١ - لو كانت التسمية تيمناً باسم أحد سلاطين آل عثمان لهان الامر قليلاً . اما أن تسمى باسم احد الولاة الصغار ، فهذا امر غير مقبول في تقديرنا .

٣٢ - بابا سليمان او (سليمان بيه) هو أحد ابناء فتى احمد الثلاثة : تيمور بك وسليمان بك وبكر بك .

٣٣ - ابراهيم باشا بن احمد باشا بن سليمان باشا بن خالد بك بن تيمور بك بن فتي احمد .

٣٤ - زكي ، محمد امين . (تاريخ الدول والامارات الكردية) ، المصدر السابق ، ص ٤١٧ - ٤١٨

٣٥ - لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٠٥

٣٦ - يذكر سون ان الانتقال حدث في عام ١٧٧٩ م ، وان المدينة سميت (سليماني) وليس (السليمانية) .

Soane , E . B . (To Mesopotamia and Kurdistan in Disigue) London , 1912 . P . 185 .

٣٧ - Rich , C . J . OP . cit , P . 387

٣٨ - Rich , C . J . OP . cit , . P . 119

٣٩ - معروف النودهي : عالم كردي له عشرات المؤلفات الدينية والمصنفات اللغوية .

٤٠ - مولانا خالد : مؤسس الطريقة النقشبندية في منطقة السليمانية .

٤١ - كانت مدينة السليمانية المركز الرئيسي لرؤساء الطريقة القادرية . اما الطريقة النقشبندية فكان مركزها الاساسي يقع في قريتي بيارة وتويلة .

٤٢ - Rich , C . J . , OP . cit . , P . 306

٤٣ - Soone . E . B . . Report on Sulaimania District of Kurdistan , Calcutta , 1919 , P . 97

٤٤ - ادموندز . سي . جي ، كرد وترك وعرب ، المصدر السابق ، ص ٨٧

٤٥ - James Filix Jones , (Memoris . . .) Bombay . 1887 , P . 207

٤٦ - اي في السنوات الاخيرة من حكم الامارة البابانية .

٤٧ - Encyclopedic Del , Lslam , Tom iv , Paris , 1934 , P . 564

٤٨ - اسرة وليس بيتاً ، كما ذكره محمد امين زكي في كتابة (تاريخ السليمانية) ص ٩٦ .

٤٩ - Mounsell . F . R . (Kurdistan) . Geog Journal , . vol . 111 , 1901 , P . - 92

٥٠ - Mason . Kenneth . (Central Kurdistan) Geog . Journal . vol , Liv , 1919 , No . 6 . P . 345

٥١ - لوتسكي . (تاريخ الاقطار العربية الحديث ، موسكو) ، ١٩٧١ . ص ٤٣٨ ٤٣٩

٥٢ - Mason , Kenneth , OP . cit . P . 345

٥٣ - قصفت الطائرات البريطانية مدينة السليمانية في ٢٣ / ٣ / ١٩٢٣

٥٤ - ادموندز ، سي ، جي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

٥٥ - سالنامه دولية عليه عثمانية لسنة ١٣٢٧ . ص ٧٨٨ - ٧٩٥ .